المناسبات في القرآن الكريم



محمد فقهاء



المناسبات في القرآن الكريم

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالىٰ علىٰ نعمه المتتاليات، وأشكره تعالىٰ أن جعلنا في أمة فضلت علىٰ سائر الأمم السابقات، وأنزل علينا كتابًا هو خاتمة الرسالات، ومنبع الهدايات، من درره استنبط العلماء فأنتجوا الكثير من المؤلفات والمصنفات، وعلىٰ هذا المنوال درج الباحثون والباحثات، فبأنواره استناروا فكتبوا العديد من الأبحاث والرسالات، وهأنذا أسير علىٰ الدرب لأكتب بحثًا في علم المناسبات.

وبعد:

فيقول تعالىٰ في هذا الكتاب المعجز: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]، ولهذا السبب عكف عليه العلماء وطلبة العلم - بكل اهتمام - ينقبون عن علومه، ويبرزون مكامن إعجازه، تارة في ألفاظه، وتارة في أسلوبه، وأخرىٰ في بيان محتوياته، وغيرها من المباحث، التي منها علم المناسبات، فقد درج العلماء يبينون المناسبات في القرآن، سواء كان ذلك في ثنايا تفاسيرهم أم في أسفار مستقلة تبين هذا العلم وتفصح عن مكنونات القرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث ليكون قنديلاً من القناديل التي تنير طريق الباحثين والدارسين بجانب ما سطره العلماء وطلبة العلم، أو إضاءة سريعة كمدخل إلىٰ هذا العلم؛ يعرِّف معناه، وغاياته وفوائده، ويكشف عن بداية نشأته، ويبين أضرب المناسبات في القرآن،



ومعرِّفًا بموقف العلماء من هذا العلم، وكان عنوان هذا البحث: (المناسبات في القرآن الكريم).

وتم تقسيم البحث إلىٰ مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة علىٰ النحو التالي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وأسباب اختيار البحث، ومشكلة البحث وأهدافه، ومنهجيتي في البحث.

المبحث الأول: التعريف بعلم المناسبات.

المبحث الثاني: في بيان توقيف ترتيب القرآن.

المبحث الثالث: نشأة علم المناسبات.

المبحث الرابع: علم المناسبات بين القَبول والرد.

المبحث الخامس: أضرب المناسبات في القرآن.

المبحث السادس: شروط وقواعد طلب المناسبات.

الخاتمة: بينت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

وهذا جهد المقل، وأسأل الله تعالىٰ أن أكون وفقت فيه، كما وأسأله تعالىٰ أن ينفع به، وأن يكون حجة لنا لا علينا، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، والله تعالىٰ وحده هو الموفِّق والهادي إلىٰ سبيل الرشاد.

أهمية الموضوع:

1 – يعد هذا العلم من العلوم المهمة التي تكشف عن وجه الإعجاز في ترتيب القرآن ونظامه.

2 – يعد هذا العلم من العلوم التي تساعد علىٰ فهم القرآن الفهم الصحيح.

3 – وأن هذا العلم من العلوم التي تخدم الباحثين للرد علىٰ مزاعم من يشككون في الترابط الموجود في كتاب الله بين آياته وسورة.

4 – هذا العلم من العلوم التي تجاذبتها آراء العلماء بين القبول والرد.

5 – والتوجه العام في هذا الوقت الراهن متجه إلىٰ التفسير الموضوعي، وعلم المناسبات له صله وثيقة به.

الدراسات السابقة:

لقد سطر العلماء – المتقدمون منهم والمتأخرون – مؤلفات عديدة، اهتموا فيها ببيان هذا العلم، والعلماء الذين عُنوا بهذا الفن منهم من أفرده بالتصنيف، ومنهم من تعرض له وأشار إليه في معرض موضوعاته وثنايا كتبه.

وكل باحث ومَعنيٍّ بهذا العلم تتشوف نفسه لمعرفة ما كتب فيه؛ وذلك لمعرفة المزيد عن هذا العلم، بمعرفة تطوره منذ نشأته إلىٰ وقتنا الحاضر، وكيف حمله العلماء، ومعرفة مواقفهم من هذا الفن، وبهذا يتم تحصيل أكبر الفوائد التي ترجع علىٰ الأبحاث والكتابات بأحسن وأكمل العوائد.





وهذا عرض لبعض هذه المصنفات والكتب، التي منها مؤلفات وبحوث احتوت علىٰ بيان هذا الفن من كتب غير كُتب التفسير، ومنها ما هو من كُتب التفسير:

1 - البرهان في علوم القرآن، للإمام محمد بن عبدالله الزركشي.

2 - الإتقان في علوم القرآن.

3 - تناسق الدرر في تناسب السور.

4 - مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع.

5 - معترك الأقران في إعجاز القرآن، وأربعتها لجلال الدين السيوطي.

6 - نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي.

7 - مناهل العرفان، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني.

8 - النبأ العظيم، لمحمد عبدالله دراز.

9 - إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل حسن عباس.

10 - مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفىٰ مسلم.

11 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي.

12 - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي.

13 - فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني.

14 - التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور.

15 - في ظلال القرآن، لسيد قطب.



أسباب اختيار الموضوع:

سبب الكتابة في هذا هو تكليف بحثي، وإن كان هذا تكليفًا فإن البحث في هذا الموضوع بحث مشوق، لا سيما وأنه يُعنىٰ بجانب مهم من جوانب علوم القرآن، والذي يعين علىٰ الفهم، وإن كان المتدبر لكتاب الله يتلمس هذا العلم عند تقليبه النظر متنقلاً بين آي وسور القرآن، إلا أنه بعد المعرفة بهذا العلم، وضوابطه، وفهم قواعده وأسسه، ينطلق المتدبر ممعنًا النظر بطريقة أخرىٰ أبعد عن السذاجة، وأقرب إلىٰ العمق العلمي المبني علىٰ أساس متين.

فمن دواعي البحث في هذا الفن، أن الباحث يطلع أكثر علىٰ هذا الفن، ويتلمس آراء العلماء، فيسترشد بها، ويرىٰ طريقة سير القوم في التعامل مع القرآن من خلال هذا الفن، حتىٰ إذا ما اشتد ساقُ الباحث وقوِي عُوده، انطلق بذخيرة توصله لمقصوده.

مشكلة البحث وأهدافه:

هذا الموضوع للعلماء فيه مؤيد ومعارض، وأيضًا هذا العلم ينبني علىٰ موضوع ترتيب القرآن، فإذا ثبت توقيف ترتيبه وقف هذا العلم علىٰ ساقه، أما إذا لم يثبت فقد انهدم بنيانه، ونسفت أبحاثه، وعدمت فوائده، وألغيت مباحثه، وهذا ما عالجته في البحث؛ فقد تعرضت قبل الخوض في هذا البحث وبيان مباحثه إلىٰ بيان الموقف من موضوع ترتيب القرآن، وكذلك تعرضت لبيان الموقف الراجح من مواقف العلماء تجاه هذا الفن، وذلك بمناقشة آرائهم وتوجيهها.

ومن خلال هذا يبرز الهدف من هذا البحث، وذلك من خلال التعريف بهذا الفن، والتمثيل من القرآن العزيز علىٰ أنواع المناسبات.



منهجية البحث:

1 – اعتمدت في بحثي علىٰ الاستقراء الناقص؛ وذلك أني انتقيت انتقاءً ما أردت بيانه، سواء كان ذلك في نقل أقوال أهل العلم في موقفهم من هذا العلم؛ وذلك لعدم الحاجة إلىٰ إثبات كل آراء العلماء في موقفهم من هذا العلم؛ إذ البعض يسد عن الكل، وكذلك الحال في موضوع التمثيل لأضرب المناسبات، فقد بينت ما يمثل كل نوع منها؛ لأن المقام ليس مقام استقصاء تام.

2 – كذلك اعتمدت في بحثي شيئًا من النقد والتوجيه لكلام أهل العلم الذين كان لهم موقف الرفض لهذا العلم، وفي بعضها بيان لوجه التناقض عندهم، بين تنظيرهم وفعلهم في كتبهم.

3 – والآيات القرآنية مصدرها من المكتبة الشاملة.

4 – وعند نقل كلام العلماء فقد رجعت إلىٰ مصادره الأصلية عند الإمكان، أما في حال عدم وصولي إليها، فأنقل عمن نقلها، مبينًا ذلك كله في الهوامش.

5 – وترجمت للأعلام في الهوامش حسب ورودهم في البحث، ومرجعي في ذلك الأعلام للزِّرِكْلي.

6 – ختم البحث بفهرسين، فهرس لمراجع البحث، وآخر للموضوعات.

هذا، وأسأله تعالىٰ التوفيق والسداد.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

التعريف بعلم المناسبات، وفيه:

المطلب الأول: المناسبة في اللغة.

1 - ذكر ابن سيده[1] في المخصص: النسبة والنسب القرابة [2].

2 - وقال ابن منظور: النسب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب [3].

3 - وأبان الفيروز آبادي بأن النسَب محركةً، والنسبة بالكسر والضم: القرابة [4].

4 - وقال الزمخشري في أساس البلاغة في نسب: له نسب في بني فلان... ومن المجاز: بين الشيئين مناسبة وتناسب، ولا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة[5].

5 - وجاء في مفردات الراغب: النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين... وقيل: فلان نسيب فلان؛ أي: قريبه [6].

---

[1] - علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفي بها، كان ضريرًا (وكذلك أبوه)، واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها، فصنف "المخصص - ط" سبعة عشر جزءًا، وهو من أثمن كنوز العربية، و"المحكم والمحيط الأعظم - ط" أربعة مجلدات منه،... وغير ذلك، الأعلام، الزركلي، (ج 4، ص 263 - ص 264).

[2] - ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط 1 / 1996 م)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ج 1 / ص 331).

[3] - ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (ت 711)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، (ط 1)، (ج 1، ص 755).

[4] - الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ) القاموس المحيط، دار الحديث - القاهرة، ط 1 / 2008 م، ت: أنس الشامي وزكريا جابر، ص 1603.

[5] - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط 1، 1998 م - 1419 هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، (ج 2، ص 265).


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

6 - وابن فارس قال في النون والسين والباء: كلمةٌ واحدة، قياسها اتصال شيءٍ بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به، تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلانٍ... والنسيب: الطريق المستقيم؛ لاتصال بعضه من بعض[7].

7 - وجاء في البرهان للزركشي في معنىٰ المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانًا؛ أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل[8].

والخلاصة مما جاء: المناسبة: هي اشتراك شيء بشيء، عن طريق قرابة، فهو يشاكله.

---

[6] - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، (ط 1، 1412 هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، ص 801.

[7] - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، (ط 1399 هـ - 1979 م، ت: عبدالسلام محمد هارون، (ج 5، ص 423 + 424).

[8] - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (ط 1، 1376 هـ - 1957 م، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ج 1، ص 35).

المطلب الثاني

المناسبة في الاصطلاح

1 – عرفها الزركشي في برهانه: المناسبة أمر معقول، إذا عرض علىٰ العقول تلقته بالقبول 9.

2 – قال السيوطي ناقلاً عن ابن العربي قوله في سراج المريدين: هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتىٰ تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، عِلم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه 10.

3 – وعرفها مصطفىٰ مسلم، المناسبة في الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها11.

وعرف المناسبةَ منَّاعٌ القطان بقوله: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة12.

من خلال هذا البيان الموجز في تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح، نستنتج أن الارتباط وثيق بين المعنىٰ اللغوي والمعنىٰ الاصطلاحي، ومن خلال هذا نقول: علم

---

[9] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج 1، ص 35).

[10] – السيوطي، عبدالرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفجر للتراث – القاهرة، ط سنة 2006 م، تحقيق حامد أحمد الطاهر (ج 3، ص 273).

[11] – مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم دمشق، (ط 3، 2000 م) ص 58.

[12] – القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (ط 3، 2000 م)، ص 96.


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المناسبات هو علم يبحث في الارتباط بين أجزاء الآيات، ويُعنىٰ كذلك بترابط السور بعضها ببعض، مبينًا ترابط معانيها، واتساق مبانيها، فكما يوجد ترابط بين النسب والنسيب، فكذلك بين الآيات والسور هناك ترابط وتناسق.



المبحث الثاني

في بيان توقيف ترتيب القرآن

القرآن الكريم أنزله الله تعالىٰ علىٰ نبيه منجمًا علىٰ مدىٰ ثلاث وعشرين سنة، تارة كانت تنزل آية أو آيات، وأخرىٰ سورة كاملة، وكان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يأمر صحابته أن يكتبوا ما نزل، ولما انتهىٰ إكمال نزوله، وانتقل النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، ترك الصحابة والقرآنُ غيرُ مجموع في تأليف واحد، فكان مفرقًا عند الصحابة في الصدور والسطور، إلىٰ أن جمع القرآن بمراحله في زمن أبي بكر وعمر وعثمان.

ومن خلال هذا قد يطرأ سؤال، هل كان جمع الصحابة للقرآن علىٰ وفق ترتيب توقيفي أو اجتهادي؟ وللعلماء آراء وأقوال في هذا.

وهذا الموضوع له تعلق وصلة وثيقة ببحثنا؛ لهذا آثرت البدء به قبل الدخول في صلب الموضوع؛ فقد قال البقاعي عن علم المناسبة: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض؛ فهو علم يُعنىٰ ببيان ترابط الآيات والسور، وهذا مبني علىٰ القول بترتيب القرآن.

قال الشيخ محمد بازمول: (ثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه؛ فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ علىٰ الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله جملة واحدة... ثم كان ينزله مفرَّقًا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة وحدوث ما يشاء الله عز وجل [13]؛ فنزول القرآن كان مراعيًا أحوال

---

[13] – علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمول، بحث منشور على الشبكة BDF، ص 5.




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدعوين، وإن كان في اللوح له ترتيبه الذي لما اكتمل نزوله رتب علىٰ حسب ما كان قبل نزوله.

فترتيب القرآن توقيفي، وسيأتي أدلة ذلك؛ (إذ ليس في خبر جمع القرآن ما يدل علىٰ أن الصحابة -رضي الله عنهم - غيَّروا أو بدَّلوا، بتقديم أو تأخير شيء من المصحف الذي جمعوه وألَّفوه علىٰ ترتيب واحد من البداية، قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: "إنما ألف القرآن علىٰ ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [14]، وكذلك ترتيب آياته ورد ما يبين توقيفها بالنصوص، ولكن بعد ذكر ما يعترض هذا الرأي ونقضه؛ فالذين قالوا بعدم توقيفه استندوا إلىٰ أن بعض الصحابة كان لهم مصاحف، وهذه المصاحف لم تكن مرتبة ترتيب مصحف عثمان، إلا أن هذا ليس فيه كبير حجة؛ فهي مصاحف شخصية، وليس بالضرورة أن تكون مرتبة الترتيب التوقيفي، فضلاً عن أن هذه المصاحف لم تجمع كل القرآن، فكيف يستدل علىٰ عدم ترتيبه بكتابات غير كاملة، وشخصية، فقد يكتب الواحد منهم ليحفظ، أو خوف نسيان ما هو محفوظ [15].

وإن مما اعتمدوا عليه أيضًا في هذا القول حديثًا روي عن ابن عباس، وفيه: قلت لعثمان: ما حملكم علىٰ أن عمدتم إلىٰ الأنفال وهي من المثاني، وإلىٰ براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما... فما حملكم علىٰ ذلك؟ [16] فهذا ضعيف، قال الشيخ أحمد شاكر عنه في تحقيقه للمسند: هذا حديث لا أصل له[17]؛ (وهذه الرواية الضعيفة لا تقوم بها حجة،

---

[14] - السابق ص 7 + 8.

[15] - بتصرف واختصار، مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 78.

[16] - المسند (1 / 329 - 331).

[17] - السابق حديث رقم 399، مع تعليقات الشيخ أحمد شاكر.



ولا تقف أمام الكثير من الروايات الصحيحة عن الصحابة... وإجماع الأمة علىٰ هذا المصحف بترتيبه، ولو كان الأمر محل خلاف لنقلت إلينا الاجتهادات، وبخاصة ما يتعلق بأمر كهذا الأمر "ترتيب المصحف")[18].

والجمهور ذهبوا إلىٰ أن ترتيب القرآن توقيفي، وبأنه من أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ فالنبي كان يأمر كتَّاب الوحي بوضع السور في مكانها، وذلك بتبليغ من جبريل، وذكر السيوطي في إتقانه: الإجماع والنصوص المترادفة علىٰ أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلىٰ الله عليه وسلم وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين [19]، وذكر السيوطي عدة أدلة، أقتصر علىٰ بعضها؛ فالبعض منها يقوم بالدلالة عن مقصودها من جميعها:

1 - ما أخرجه أحمد بإسناد حسن، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسًا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: ((أتاني جبريلُ فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ} [النحل: 90])) [20].

2 - ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: 240]، قد نسختها الآية الأخرىٰ، فلمَ تكتبها أو تدعها؟ قال: يا بن أخي، لا أغيِّر شيئًا منه من مكانه))؛ رواه البخاري (4530) في التفسير.

---

[18] - مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 80.

[19] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ج 1، ص 174).

[20] - في حاشية الإتقان، حسن الإسناد: الهيثمي (7 / 49) في المجمع، وقال: رواه أحمد بسند حسن.



3 – ما رواه مسلم عن عمر، قال: ما راجعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في شيءٍ ما راجعته في الكلالة، وما أغلَظَ لي في شيءٍ ما أغلظ لي فيه، حتىٰ طعن بإصبعه في صدري، وقال: ((يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء...))؛ الصحيح، باب ميراث الكلالة (1617).

فهذه ثلاثتها تدل علىٰ توقيف ترتيب الآيات في داخل السور؛ فدلالة الأول: ((فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع)) علىٰ أن ترتيبه توقيفي، بل بإعلام من جبريل بذلك، والثاني يدل حتىٰ علىٰ أن الآيات التي نسخت وبقيت تلاوتها لم يتصرف فيها الصحابة، وإنما بقيت كما نقلوها، والثالث: دلالة واضحة وصريحة بقوله: ((آخر سورة النساء))، فمعلوم ما هو آخر وما هو الذي تبدأ به السور، ولولا هذا لكان الكلام مجرد عبث، هذا وإن هناك الكثير من الأدلة غير هذه؛ كالحديث الذي فيه حث علىٰ قراءة أواخر سورة البقرة، وحديث حفظ أوائل الكهف أو أواخرها في العصمة من الدجال.

هذا، وهناك نصوص تدل علىٰ ترتيب السور كذلك كترتيب الآيات، ومنها:

4 – عن أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم أسلموا من ثقيف... فمكث عنا ليلة لم يأتنا – أي النبي – حتىٰ طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: ((طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن فأردت ألا أخرج حتىٰ أقضيه))، قال: فسألْنا أصحابَ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدىٰ عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتىٰ يختم"؛ مسند أحمد بن حنبل، (4/ 9 حديث 16211).



هذا نقلاً، أما عقلاً فكيف يكون هذا الترتيب اجتهاديًّا ولا يوجد له خلاف، سواء كان مكتوبًا أو ملفوظًا؟ فلم نرَ نسخة تخالف هذا الذي استقر عليه الترتيب، ولم نجد نصًّا لصحابي فيه خلاف هذا الأمر، بل لم ينقل مجرد اعتراض علىٰ هذا الترتيب، ولو كان يوجد لنقل لنا، فكثير من المسائل التي فيها خلاف بين الصحابة أو تعدد للأقوال نقلت إلينا، وكثير من السجالات العلمية التي كانت تحصل بين الصحابة نقلت إلينا، وإن لم نسلم لواحدة منها، فالمهم في هذا من خلال ما تقدم أن ترتيب القرآن توقيفي؛ لورود الأدلة عليه، وهي صحيحة، ودلالتها واضحة بينة علىٰ المراد.



المبحث الثالث

نشأة علم المناسبات

مر معنا سابقًا في تعريف المناسبة قول ابن العربي: لم يتعرض له – أي علم المناسبات – إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة [21]، وذكر السيوطي أن غير ابن العربي قال: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكرٍ النيسابوري [22]، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول علىٰ الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية إلىٰ جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلىٰ جنب هذه السورة؟ وكان يزري علىٰ علماء بغداد؛ لعدم علمهم بالمناسبة[23].

وكذلك هناك من المفسرين من أوردوا المناسبات في تفاسيرهم؛ كالفخر الرازي في مفاتيح الغيب، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم، ومن العلماء من جعله مبحثًا من مباحث كتبه؛ كالزركشي في البرهان في علوم القرآن، ففيه فصل بعنوان: (معرفة المناسبات بين الآيات)، وهو النوع الثاني عنده، وكذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن؛ في النوع "الثاني والستون" بعنوان: (في مناسبة الآيات والسور)، وذكر في بداية مبحثه هذا أن العلامة أبا جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان أفرده بالتصنيف في كتاب سماه: "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، بل الإمام السيوطي ذاته أفرده بالتصنيف في كتاب سماه: "تناسق الدرر في تناسب السور"، ومن أوعب المراجع وأوسعها – حسب

---

[21] – لم يذكر مَن هذا، و لم أقف عليه.

[22] – هو أحمد بن إسحاق بن أيوب، أبو بكر النيسابوري، المعروف بالصبغي: فقيه شافعي، من أهل نيسابور، له عدة تصانيف، توفي سنة 324 هـــ، الأعلام للزركلي (1 / 95).

[23] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ج 3، ص 273).




www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علمي - ما سطره البقاعي في كتابه الضخم، كبير الفوائد، وعماد هذا العلم، ومرجع المريدين والطالبين لهذا الفن، واسمه: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"؛ حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم سورة سورة، ويقع في اثنين وعشرين جزءًا (ط. الهند).

وهذه النشأة باعتبار أولية التأليف والتصنيف، وإلا فهذا الفن كعلم معمول به كان موجودًا عند السلف، حتىٰ إنك تجد من بعض النصوص إشارات عن هذا الفن، بل (بداية علم المناسبات والإشارة إليه تتلمس في أحاديث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، بل إن الأعرابي بسليقته يستشعر المناسبات في القرآن العظيم)24.

فقد ذكر الرازي في تفسيره هذه الحادثة التي تبين كيف كانت بالسليقة العربية تتلمس المناسبات؛ قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية فقلت: (والله غفورٌ رحيمٌ) سهوًا، فقال الأعرابي: كلامُ مَن هذا؟ فقلت: كلام الله، قال: أعِدْ، فأعدتُ: (والله غفورٌ رحيم)، ثم تنبهت فقلت: (والله عزيزٌ حكيمٌ)، فقال: الآن أصبتَ، فقلت: كيف عرفت؟ قال: يا هذا، عزيزٌ حكيم فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع25.

وأيضًا ما ذكره السيوطي في الإتقان قال: وحُكي أن أعرابيًّا سمع قارئًا يقرأ: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} [البقرة: 209] "فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ"، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، ومر بهما رجل فقال: كيف تقرأ

---

[24] – علم المناسبات في السور والآيات، محمد بازمول، ص 20.

[25] – الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1، 2000 م) (ج 11، ص 182).



هذه الآية؟ فقال الرجل: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: 209]، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراءٌ عليه26.

فهذا العلم كباقي العلوم يكون موجودًا في الأذهان، ويتناوله أهل هذا الشأن، ثم تراه متناثرًا في الكتب والأسفار قبل أن يستقر ويصنف فيه، ثم تراه قد استقر وانتشر بين الطلبة والعلماء في العديد من الأمصار، وبهذا يمكن توجيه كلام ابن العربي، ويمكن تقوية هذا التوجيه أيضًا بما ذكره الرازي 27: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة - يقصد المائدة - وفي بدائع ترتيبها، علِم أن القرآن كما أنه معجِز بحسب فصاحة ألفاظه وشرفِ معانيه، فهو أيضًا معجِز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجِز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل:

والنجم تستصغِرُ الأبصارُ رؤيتَه = والذَّنبُ للطَّرْفِ لا للنجمِ في الصِّغرِ

خلاصة هذا المبحث: أن هذا العلم كعلم مر بمراحل متعددة، فيما بعد بعض إشارات النبي، وكلام السلف، مرحلة النشأة كتأسيس لهذا العلم، وذلك بكلام متناثر في كتب التفسير والحديث، ثم مرحلة بدأت تنحو نحو الوضوح والكشف عن هذا العلم كفن، إلا أنه لم توجد له مؤلفات مستقلة، وهو ما أشار إليه ابن العربي، ثم ظهور المؤلفات الخاصة به بما مثلت له آنفًا.

---

[26] - السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفجر للتراث - القاهرة، ط 2066، (ج 3، ص 257).

[27] - مفاتيح الغيب (ج 7، ص 112).



المبحث الرابع

علم المناسبات بين القبول والرد

هذا العلم كباقي العلوم والفنون تتجاذبه الآراء والأقوال بين قابل له وبين راد، بين مؤيد ومعارض؛ ولهذا في هذا المبحث سأبين آراء العلماء في هذا العلم، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: رأي المؤيدين:

العلماء المؤيدون لهذا اللون كثر، وهذه أهم وأبرز أقوال هؤلاء العلماء:

1 – قال السيوطي: علم المناسبة علم شريف، قل اعتناء المفسرين به لدقته 28، وقال: وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ ببعض، فيقوىٰ بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكَم المتلائم الأجزاء29.

2 – قال الزركشي: واعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول... ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض علىٰ العقول تلقته بالقبول 30.

3 – قال البقاعي: علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلىٰ تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه علىٰ معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع

---

[28] – الإتقان (ج 3، ص 273).

[29] – السابق (ج 3، ص 274).

[30] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج 1، ص 41).



جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من علم النحو [31].

4 – قال الفخر الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط [32].

أقتصر علىٰ هذا الإيراد هنا، وقد مر سابقًا نقولات أخرىٰ، فبهذه وبما سبق نعلم تأييد هؤلاء العلماء لهذا الفن؛ فقد بينت هذه النصوص أخذ هؤلاء العلماء بالاتجاه بقبول هذا العلم، بل لم يقتصر هؤلاء العلماء علىٰ مجرد دعم هذا الرأي بالقول، فكان منهم أيضًا التآليف والتفاسير التي تبين المقصود، وتدعم هذا الفن عمليًّا، وذلك بالتدوين.

المطلب الثاني: رأي المعارضين:

في هذا المطلب سأورد قولين من أقوال العلماء الذين عارضوا هذا الفن، منهم الشوكاني في تفسيره؛ فقد شدد النكير علىٰ من يتطلبون المناسبات، وكذلك رأي العز بن عبدالسلام؛ فقد صُنف قولُه مع من يرد هذا العلم، وسيأتي توجيه ما قال، لنستخلص خلاصة من كل رأي من هذه الآراء المعارضة.

1 – رأي الشوكاني ونقده:

وأنقل هنا كلامه، قال الشوكاني: اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلمٍ متكلَّفٍ، وخاضوا في بحرٍ لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدةٍ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة علىٰ هذا

---

[31] – نظم الدرر (ج 1، ص 5).

[32] – مفاتيح الغيب، (ج 10، ص 113).



الترتيب الموجود في المصاحف... حتىٰ أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره، ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقًا علىٰ حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ أن قبضه الله عز وجل إليه، وكل عاقلٍ - فضلًا عن عالمٍ - لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفةٌ باعتبار نفسها... وإذا كانت أسباب النزول مختلفةً هذا الاختلاف، ومتباينةً هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلفٌ كاختلافها، فكيف يطلُب العاقل المناسبة بين الضب والنون، والماء والنار، والملاح والحادي؟... وإذا كان الأمر هكذا، فأي معنىٰ لطلب المناسب بين آياتٍ نعلم قطعًا أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخرًا، وتأخر ما أنزله الله متقدمًا؛ فإن هذا عملٌ لا يرجع إلىٰ ترتيب نزول القرآن، بل إلىٰ ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدىٰ لذلك من الصحابة، وما أقلَّ نفعَ مثل هذا وأنزرَ ثمرته، وأحقر فائدته! بل هو عند مَن يفهم ما يقول وما يقال له مِن تضييع الأوقات، وإنفاق الساعات في أمرٍ لا يعود بنفعٍ علىٰ فاعله، ولا علىٰ من يقف عليه من الناس... وقد علم كل مقصرٍ وكاملٍ أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيٌّ، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وجرىٰ به مجاريهم في الخطاب... ولنكتفِ بهذا التنبيه علىٰ هذه المفسدة التي تعثَّر في ساحاتها كثيرٌ من المحققين، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلفٌ: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيفَ.



فدَعْ عنك نهبًا صِيح في حُجُراتِه = وهاتِ حديثًا ما حديث الرواحل[33]

فخلاصة ما ذكره في اعتراضه:

أ – أن هذا علم متكلف، ولم نكلف به، ولا فائدة منه.

ب – أن هذا بمحض الرأي، فضلاً عن أن هذا الترتيب للقرآن هو من ترتيب الصحابة.

ج – أن القرآن نزل بلغة العرب، وبأساليب العرب، والعرب لم تعرف هذا النوع من العلم.

د – أن نزول القرآن كان علىٰ حسب الحوادث، وليس علىٰ حسب ما هو مرتب الآن.

الرد علىٰ هذا الكلام:

أولاً: أن هذا العلم ليس تكلفًا، وإنما هو نتيجة التدبر للقرآن الكريم، فمن تدبره وتفكر فيه أوصله هذا إلىٰ القول بتناسبه، بل إن الله كلفنا أن نتدبر كتابه، بل إن الله عاب علىٰ من لا يتدبره؛ لأن الله لا يريد منا فقط قراءته، فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، فعلىٰ الرغم من أنهم يقرؤون ويسمعون، فإن الله عاب عليهم هذه القراءة؛ لأن الله أراد منا أن نستشعر هذه العظمة، وذلك الإجلال حين تدبره، لا حين الاقتصار علىٰ ترديده، وبذلك نحصل فائدته، ثم لو وجد من تكلف فلا ينبغي أن نتعسف ونرد علمًا بأكمله، فلا يوجد علم وإلا وفيه متكلفون.

---

[33] – انظر، الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، (ط 1، 1414 هـ)، (ج 1، ص 85 – 87).

ثانيًا: أن هذا بمحض الرأي ليس بصحيح علىٰ إطلاقه، فصحيح أن هذا الفن توفيقي، إلا أنه ليس من قبيل الرأي المردود إذا كان بمنطلق علمي، ومبنيًّا علىٰ أساس سليم، أما إذا كان أساسه الهوىٰ فيرد بلا شك، ومن ثم هو قائم علىٰ التماس المناسبات علىٰ حسب وروده في المصحف، وترتيبه توقيفي كما مر من أدلة، وليس ترتيب القرآن من قبيل اجتهاد الصحابة كما ذكَر.

ثالثًا: القرآن صحيح أنه نزل بلغة العرب، إلا أنه ليس بشرط أن يلتزم كل أساليبهم، فقد يأتي بأسلوب جديد، مع أن الأصل والأساس هو لغة القوم، وكذلك ما ينقض هذا القول أن العرب أنفسهم كانوا يتلمسون المناسبة في خطبهم وأشعارهم، ومن قرأ شيئًا منها، عرف أنهم أهل صنعة وذوق، فيبدأ كلامهم بترتيب، وينتهي كذلك.

رابعًا: صحيح أن نزول القرآن كان علىٰ حسب الحوادث، وهذا شيء طبيعي أن يكون شأن نزوله مختلفًا عن ترتيبه؛ لأنه كان في اللوح المحفوظ كما هو الآن مستقر عليه بعد أن اكتمل نزوله، وإنما نزل هكذا لمراعاة شأن الدعوة والمدعوين، ولا مشكلة في هذا بأن تطلب المناسبات من ترتيبه.

خامسًا: أن الشوكاني نفسه مع رده لهذا الفن، ونقده لأصحابه ممن ألَّفوا فيه، متناقض بين قوله وفعله، وذلك من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الشوكاني عند سرد نقده قال: (كما فعله البقاعي في تفسيره)؛ فالشوكاني قال في البدر الطالع في ترجمة البقاعي، ما نصه: (ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرِطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيرًا ما يشكل عليَّ شيء في الكتاب



العزيز، فأرجع إلىٰ مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلىٰ هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب) 34، فمن نقد علمًا أو صاحب علم، ثم رأينا ثناءه عليه وعلىٰ علمه علمنا تناقضه، وهذا ما حصل عند الشوكاني، وأرىٰ أن ما ذكره في البدر هو الحقيق بأن يقال.

الوجه الثاني: أن الشوكاني قال في نهاية نقده هذا: (وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن؛ لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل...)، وهذا ما هو إلا وجه من وجوه المناسبة، فهو يعتذر بهذا الكلام ببيان مناسبة إيراده هذا البيان، فهذا هو عين القول بالمناسبة، وهذا أمر معروف قد درج عليه الناس ألا يوردوا كلامًا وراء كلام إلا لوجود تناسب بينهما.

الوجه الثالث: أن الشوكاني مع نقده لهذا الفن، فإن الناظر في كتابه فتح القدير يرىٰ امتلاءه بالقول بالمناسبات، ومن أمثلة ذلك، وأقتصر علىٰ مثالين:

المثال الأول: قال في تفسيره لسورة النور آية 35: لما بيَّن سبحانه من الأحكام ما بيَّن، أردف ذلك بكونه سبحانه في غاية الكمال، فقال: {اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: 35]، وهذه الجملة مستأنفةٌ لتقرير ما قبلها35.

المثال الثاني: قال في تفسيره لقوله تعالىٰ من سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 6، 7]، يقول الشوكاني: ذكر سبحانه فريق الشر بعد

---

[34] – الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، (ج 1، ص 18).

[35] – فتح القدير (ج 4، ص 38).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعًا لهذا الكلام عن الكلام الأول، معنونًا له بما يفيد أن شأن جنس الكفرة عدم إجداء الإنذار لهم، وأنه لا يترتب عليهم ما هو المطلوب منهم من الإيمان، وأن وجود ذلك كعدمه36.

من خلال هذا يتبين لنا أنه بإزاء هذا الفن وأصحابه منتقِد، ولكنه بقوله وفعله له معتقد، وما هو إلا كمن نقد المنطق بطريقة منطقية فقال: وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر.

2 - رأي العز بن عبدالسلام وتوجيهه:

ذكر السوطي قوله: المناسبة علمٌ حسنٌ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ متحدٍ مرتبطٍ أوله بآخره، فإن وقع علىٰ أسبابٍ مختلفةٍ لم يقع فيه ارتباطٌ، ومن ربط ذلك فهو متكلفٌ بما لا يقدر عليه إلا بربطٍ ركيكٍ يصان عن مثله حسَن الحديث، فضلًا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيفٍ وعشرين سنةً، في أحكامٍ مختلفةٍ، شُرعت لأسبابٍ مختلفةٍ، وما كان كذلك لا يتأتىٰ ربط بعضه ببعضٍ37.

فالعزُّ صُنف علىٰ أنه من الرادين لهذا العلم من قوله هذا، وهذا كلام حسن، فتوجيه هذا الكلام أن العز يرد مسألة تطلب المناسبة علىٰ حسب النزول لا علىٰ حسب الترتيب، وهذا هو عينه ما يقوله من نصر هذا الفن؛ فهم لا يتطلبون المناسبات علىٰ حسب النزول، وإنما علىٰ حسب الترتيب، ومن خلال هذا نفهم أن العز لا يرد هذا العلم، وإنما يشترط فيه اتحاد الكلام، وإلا كان متكلفًا، وأختم هذا المبحث بما قاله الملوي، فيما

---

[36] - السابق (ج 1، ص 45).

[37] - السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفجر للتراث - القاهرة، ط سنة 2006 م، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، (ج 3، ص 273).


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكره السيوطي، قال: قد وهِم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبةٌ؛ لأنها علىٰ حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب أنها علىٰ حسب الوقائع تنزيلًا، وعلىٰ حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا؛ فالمصحف علىٰ وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملةً إلىٰ بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آيةٍ أن يبحث أول كل شيءٍ عن كونها مكملةً لما قبلها، أو مستقلةً، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له؛ انتهىٰ[38].

ولهذا، فأرىٰ أنه يحسن عدم الزج بقول العز بين المانعين لهذا العلم، وإنما يقال: هو يقبله بتفصيل منه وشروط.

---

[38] – السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الفجر للتراث – القاهرة، ط سنة 2006 م، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، (ج 3، ص 273).

المبحث الخامس

أضرُب المناسبات في القرآن

من نظر في القرآن الكريم نظر تدبر وتفكر، علِم أن للقرآن تناسبًا، وذلك يكون في:

أولاً: التناسب في السورة الواحدة؛ كتناسب اسم السورة ومضمونها، أو تناسب أولها مع آخرها، أو بين آياتها بعضها ببعض، أو تناسب حكمين في الآية أو الآيات داخل السورة.

ثانيًا: التناسب في السورتين؛ كتناسب فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، أو التناسب بين مضمون السورة والتي تليها.

ثالثًا: مناسبات عامة، وهي المناسبات المطلقة في القرآن الكريم.

وهذا تفصيل ذلك:

المطلب الأول: التناسب في السورة الواحدة:

أ - تناسب اسم السورة ومضمونها، ومثال ذلك: سورة الكهف؛ فهذه السورة احتوت علىٰ بيان أربع فتن مما يتعرض له الإنسان، وهي أم الفتن التي يمكن أن تواجه المؤمن، أو بعضها، وهي فتنة الدين وكيفية الخلاص منها، كما حصل مع الفتية، وفتنة المال كما حصل مع صاحب الجنتين، وفتنة العلم كما حصل مع موسىٰ والخضر، وفتنة السلطان، كما حصل مع ذي القرنين؛ فالمخرج من هذه الفتن كأنه المخرج والملاذ الذي يأوي إليه المؤمن.

ب - تناسب أول السورة مع خاتمتها، ومثال ذلك: سورة الحشر، فبدأت بقوله: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 1]، وختمت السورة



بقوله تعالىٰ: {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 24]، ففي البداية تنزيه لله، وذلك قد وقع مِن كل مَن في السموات والأرض، وفي خاتمتها: (لما أعلىٰ سبحانه أولياءه بأن فتح السورة بالإيمان بالغيب، وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل وكل شائبة نقص، وينزل لعباده في أسباب الصفات والأفعال، إلىٰ أن أوصلهم إلىٰ محسوس الأمثال، فتأهلوا للفَناء في ذاته، وما علىٰ صفاته الموجبة لخشيته، رقاهم إلىٰ التفكر في تفصيل ما افتتح به)39.

ج - المناسبة بين آيات السورة بعضها ببعض، ومثال ذلك: ما جاء في سورة البقرة قوله تعالىٰ: {حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]، قال الرازي: اعلم أنه سبحانه وتعالىٰ لما بيَّن للمكلفين ما بين من معالم دينه، وأوضح لهم من شرائع شرعه أمرهم بعد ذلك بالمحافظة علىٰ الصلوات؛ وذلك لوجوهٍ، أحدها: أن الصلاة لما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالىٰ، وزوال التمرد عن الطبع، وحصول الانقياد لأوامر الله تعالىٰ، والانتهاء عن مناهيه، كما قال: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45]، والثاني: أن الصلاة تذكر العبد جلالة الربوبية، وذلة العبودية، وأمر الثواب والعقاب، فعند ذلك يسهُل عليه الانقياد للطاعة؛ ولذلك قال: {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

---

[39] - البقاعي، إبراهيم بن علي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، (ج 19، ص 463).


www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 153]، والثالث: أن كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة اشتغالٌ بمصالح الدنيا، فأتبع ذلك بذكر الصلاة التي هي مصالح الآخرة40.

د – المناسبة بين حُكمين في الآيات، ومثال ذلك: ما جاء في سورة النور، قوله تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 27 – 30].

فبعد ذكر حكم الاستئذان، أتبعها بذكر غض البصر، فالاستئذان إنما جُعل لئلا يقع بصر المسلم علىٰ عورة، قال الشوكاني: لما ذكر سبحانه حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر علىٰ العموم، فيندرج تحته غض البصر من المستأذن41.

40 – الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ (ج 6 / ص 482).

41 – الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (ج 4، ص 26).



المطلب الثاني

التناسب بين السورتين

أ – المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، ومثال ذلك: ما جاء في نهاية سورة الإسراء، قوله تعالىٰ: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: 111]، وفي بداية الكهف قوله تعالىٰ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: 1].

قال البقاعي: لما خُتمت تلك بأمر الرسول صلىٰ الله عليه وسلم بالحمد عن التنزه عن صفات النقص؛ لكونه أعلم الخلق بذلك، بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد علىٰ صفات الكمال، التي منها البراءة عن كل نقص، منبهًا بذلك علىٰ وجوب حمده بما شرع من الدين علىٰ هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجَز عن معارضته الأولون والآخِرون، الذي هو الدليل علىٰ ما ختمت به تلك من العظمة والكمال، والتنزه والجلال، فقال ملقنًا لعباده حمده، معلمًا لهم كيف يثنون عليه، مفقهًا لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات42.

ب – المناسبة بين مضمون السورة والتي تليها، ومثال ذلك ما جاء في سورتي الضحىٰ والشرح، ففي الضحىٰ ذِكر للنعم الحسية، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية، قال البقاعي: ولما أمره صلىٰ الله عليه وسلم آخر الضحىٰ بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه، فصَّلها في هذه السورة، فقال مثبتًا لها في استفهام إنكاري مبالغةً في إثباتها عند مَن

---

[42] – البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، (ج 12، ص 2).

ينكرها، والتقرير بها مقدمًا المنة بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة، كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولًا، لافتًا القول إلىٰ مظهر العظمة تعظيمًا للشرح: {أَلَمْ نَشْرَحْ}؛ أي: شرحًا يليقُ بعظَمتنا[43].

المطلب الثالث: المناسبات العامة، وذلك كما ذكروا ما افتُتحت به سورتان بـ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، نحو ما جاء في سورة النساء والحج؛ قال تعالىٰ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، وفي سورة الحج قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج: 1]، ففي سورة النساء تحدثت عن بدء الخلق والحياة، والحج ذكرت بنهاية هذه الحياة، وهذا النوع كثير جدًّا، ويمكن تلمس العديد من الوجوه التي احتوت علىٰ مناسبات كهذه وكسابقاتها، والمتدبر لكتاب الله يجد كثيرًا من التناسب علىٰ نحو هذا الذي ذكرت، واقتصرت علىٰ مثال لكل منها، وذلك للاختصار ولقصد التمثيل فقط، والبعض يُغْني عن الكل، ولمن أراد التوسع فينطلق مع كتاب الله، ويجد من هذه النماذج العديدة.

---

[43] – السابق (ج 22، ص 115).



المبحث السادس

شروط وقواعد طلب المناسبات

ذكر الشيخ محمد بازمول عدة شروط لجواز طلب المناسبات في القرآن العظيم، وهي:

- أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللحاق.

- ألا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.

- أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضاد.

- ألا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزَل به القرآن العظيم.

- ألا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالىٰ، غاية الأمر أن هذا ما أداه إليه اجتهادُه ونظره وتدبره.

- أن يعلم أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد.

وعلىٰ الجملة، فإنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا به، والله أعلم[44].

[44] – علم المناسبات في السور والآيات، محمد بازمول، ص 39.



الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني علىٰ إتمام بحث المناسبات، بعد التدبر لبعض السور والآيات، والتجول في كتب أهل العلم والمصنفات، فأحمده تعالىٰ علىٰ ما سطرته في هذه الصفحات، وأسأله كذلك أن يكون بحثي في صفحة الحسنات، وأن يكون حجة لي في يوم لا ينفع المرء فيه إلا الصالحات.

وبعد:

فهذا هو جهد متواضع أقرب ما يكون بإشارات علىٰ طريق هذا العلم، أو مدخل يعرف من خلاله مباحثه لطالبيه.

فمن خلال هذا البحث تبين لي جانب كبير من جوانب إعجاز الكتاب العزيز، وأن لهذا العلم فائدة عظيمة تعين علىٰ حسن فهم وتدبر القرآن، فهو السبيل لفهمه، وهو الطريق لتسهيل حفظه، وحري بكل طالب علم أن يلم به، وأن يتعرف علىٰ مبادئه، وينشط كذلك لمعرفة كيف كانت نشأته إلىٰ أن استقر كفن مستقل.

وأخلص في النهاية إلىٰ هذه النتائج، وأسطرها كنقاط معدودة:

1 – علم المناسبات مما يعين علىٰ الفهم السليم، وهذا ما يدعو للاهتمام به.

2 – علم المناسبات يعرف بمدىٰ انسجام ووحدة القرآن.

3 – علم المناسبات كباقي العلوم والفنون، مر بمراحل النشأة التي قد يتداخلها القصور أو التساهل في بعض الأحيان؛ ولهذا يجب الالتزام بضوابط البحث السليمة التي تليق بكتاب الله، وعدم التساهل وترك الأمور علىٰ عواهنها.



4 – المناسبات منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي يحتاج إلىٰ مزيد عناية وشدة تدبر، وزيادة تفكر؛ ولهذا يجب الحذر من التسرع في تلمس النتائج وإظهار التناسب.

5 – أن هذا العلم ليس لمجرد المعرفة، وليس من قَبيل الترف العلمي، وإنما هو علم أصيل، له غايته وهي التدبر، الذي إن سلكه صاحبه لهذا السبب، أوصله ذلك لتطبيق أمر الله، وامتثال ما شرع.

وفي الختام، أوصي نفسي وقراء هذا البحث، بتقوىٰ الله العظيم، وحمل هذا الكتاب العزيز وخدمته بما يستحقه، والحرص علىٰ النفع به وله، وذلك بالكشف عن العلوم التي تخدمه وتبين مقصوده، وبذل الجهد في نشر العلوم والمعارف التي تلفت الأنظار من جديد إلىٰ كتاب الله، والتي منها هذا العلم.

وأسأله تعالىٰ أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله الطيبين، وعلىٰ الصحابة الميامين، وعلىٰ التابعين ومن تبعهم من أهل السنة والأثر بإحسان إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.



فهرس المصادر والمراجع

1 – القرآن الكريم.

2 – الصحيحان، ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر (عن الشاملة).

3 – ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط 1 / 1996 م)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

4 – ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، (ت 711)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، (ط 1).

5 – الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ) القاموس المحيط، دار الحديث – القاهرة، ط 1 / 2008 م، ت: أنس الشامي وزكريا جابر.

6 – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1، 1998 م – 1419 هـ)، ت: محمد باسل عيون السود.

7 – الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، (ط 1، 1412 هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي.

8 – ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، (ط 1399 هـ – 1979 م، ت: عبدالسلام محمد هارون.

9 – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاؤه، (ط 1، 1376 ه – 1957 م، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.



10 – السيوطي، عبدالرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفجر للتراث – القاهرة، ط سنة 2006 م، تحقيق حامد أحمد الطاهر.

11 – مسلم، مصطفىٰ، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم دمشق، (ط 3، 2000 م).

12 – القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (ط 3، 2000 م).

13 – علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمول، بحث منشور علىٰ الشبكة BDF.

14 – الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط 1، 2000 م).

15 – الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، (ط 1، 1414 هـ).

16 – الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين – بيروت.

17 – الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

18 – البقاعي، إبراهيم بن علي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة (ط 5، سنة 1980).




إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المحتويات

المناسبات في القرآن الكريم 1

المقدمة: 1

أسباب اختيار الموضوع: 5

منهجية البحث: 6

المبحث الأول 7

المطلب الثاني 9

المبحث الثاني 11

في بيان توقيف ترتيب القرآن 11

المبحث الثالث 16

نشأة علم المناسبات 16

المبحث الرابع 19

علم المناسبات بين القبول والرد 19

المبحث الخامس 27

أضرُب المناسبات في القرآن 27

المطلب الثاني 30

التناسب بين السورتين 30

المبحث السادس 32

شروط وقواعد طلب المناسبات 32

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة


الخاتمة.. 33

فهرس المصادر والمراجع.. 35

